الإشكالية الأخلاقية.

ترتبط هذه الإشكالية بالمذاهب الأخلاقية الكبرى في الفلسفة الحديثة، وذلك في تأسيسها للقيمة الأخلاقية، أمّا الوجه الإشكالي فيتمثّل في إمكانية أن تكون الطبيعة البشرية برغباتها وميولها مصدراً للقيمة الأخلاقية، وذلك ما تحققه من منافع، أو أن تكون العاطفة هي مصدر القيمة الأخلاقية، و في صورة أخرى هل نعتبر الواجب العقلي، بتجاوزه لكل إكراه أو دافع أو حتى منفعة، أساساً وحيداً للقيمة الأخلاقية. بالإجمال: هل يمكن للطبيعة البشرية أن تكون أساساً للقيمة الأخلاقية، بما تحققه من منفعة أو بما تحمله من عاطفة؟ سنركز في هذه المحاضرات على أخلاق العقل عند كانط ومن خلالها نذكر أخلاق العاطفة وأخلاق المنفعة من خلال نقد كانط لها.

الإتجاه النقدي في الأخلاق:

انطلق من السؤال الأخلاقي ماذا يجب عليّ أن أفعل؟ أو ماذا ينبغي علي أن أعمله؟، هذا السؤال هو محور فلسفة كانط الأخلاقية، لكنه قبل الإجابة عن هذا السؤال ، كان عليه أن يقوم بفحص المذاهب الأخلاقية الكبرى التي سبقته، وفي الأساس الذي شيّدت عليه.

نقد المذاهب الأخلاقية السابقة: جميع المذاهب الأخلاقية السابقة، وخاصة في المرحلة الحديثة، بما فيها المذاهب التي تأسست على العقل. يحكم عليه كانط بالتهافت، فهي حدّدت غاية للأخلاق وهو الخير المطلق. **فالمذاهب العقلية** جعلت الخير المطلق غاية، لكن كانط، وكما هو معلوم، يرى أن الخير المطلق مبحث ميتافيزيقي، يتجاوز حدود التجربة، والعقل عاجز عن معرفة ذلك كما أثبت في كتابه نقد العقل الخالص، كما نقد **فلاسفة أخلاق اللذة وفلاسفة أخلاق المنفعة** ونركز هنا على وجه الخصوص على(بنتام والمنفعة الخاصة- ستيوارت مل والمنفعة العامة)، لأنهم ربطوا القيم الأخلاقية بالطبيعة البشرية، والطبيعة البشرية لا تخلو من النزوع نحو الشر، وهي مصدر الخطيئة. كما أنّ أخلاق القيم التي بشّروا بها هي أقرب إلى أخلاق التجار.

كما نقد كانط أخلاق العاطفة، عاطفة الإيثار، أو عاطفة الرحمة..فمجموعة فلاسفة من العصر الحديث حاولوا إقامة الأخلاق على العاطفة استناداً إلى أنّ السلوك الأخلاقي ينطلق من عواطفنا الطبيعية التي تدفعنا إلى فعل الخير. ماكس شلر، هنري برغسون..وموقف كانط من هذا الاتجاه لا يختلف عن موقفه من الاتجاه النفعي.

العقل أساس الأخلاق: يعدّ كانط العقل مصدراً للفعل الأخلاقي؛ ومادام العقل له مجالين: مجال نظري يخص المعرفة، وهو العقل النظري الخالص، ومجال عملي، وهو العقل العملي الخالص، وهو الذي يخصّ الأخلاق. وهذا النوع الثاني من العقل قد يصدر نوعين من الأوامر: **أوامر شرطية مقيّدة**: ترسم الوسائل المؤدية إلى بلوغ غاية من الغايات، كأن نقول إذا أردت أن تكون ناجحاً عليك بتقديم الخدمات للآخرين. هذا الفعل الأخلاقي غير نزيه لأنّه يرتبط بغاية. ثانياً، **أوامر قطعية مطلقة:** لا ينظر فيها إلى الغايات، أو النتائج التي تترتب عنها، وإنّما نقوم بالفعل لذات الفعل فقط، وبدون دافع أو غاية لذالك الفعل.وهذا ما يعرف عند كانط **"بفعل الواجب"** الذي لا يتحدّد بشروط ولا يرتبط بغايات. لا يهدف إلا للمحافظة على القانون الأخلاقي ولا يرتبط بالطبيعة البشرية برغباتها ومتطلباتها. وقد وضع كانط بعض القواعد العملية للواجب، وهي: **قاعدة التعميم**: " اعمل دائماً بحيث يكون في استطاعتك أن تجعل من قاعدة فعلك قانوناً كلًّيا للطبيعة". ثانياً، **قاعدة الاستقلال الذاتي**: " اعمل دائماً على نحو تكون إرادتك العاقلة هي الإرادة المشرعة الكلّية". ثالثا، قاعدة **الغائية**، "اعمل دائماً بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي الآخرين، غاية لا مجرد واسطة"لكن حتّى يكون لهذا الواجب معنى علينا أن نسلم ببعض القضايا الضرورية لذلك:

مسلمات العقل العملي: هذه المسلمات ليست دغمات نظرية بل أنّها فرضيات ضرورية وبصورة عملية. تقود من خلال مسلمات العقل العملي إلى مفاهيم يعرضها العقل التأملي بالفعل كقضايا لا يستطيع أن يحلها ..سوى التردي في القياسات المنطقية الفاسدة. وتتمثل في: مسلمة الخلود، مسلة الحرية ومسلمة وجود

الله: أمّا مسلمة الخلود، فالواجب لا يتحقق بالمنفعة، أو العاطفة، أو السعادة، أو اللذة، "فهي الشرط الضروري عملياً لديمومة مناسبة للوفاء الكامل بالقانون الأخلاقي".

أما المسلمة الثانية مسلمة الحرية فالشعور بالإلزام الأخلاقي يحتّم التسليم بالحرية الإنسانية" يجب عليك إذن أنت تقدر". ويقول مسلمة الحرية فعن الفرضية الضرورية بالاستقلال عن العالم الحسي، في حين المسلمة الثالثة عن وجود الله، فيجب التسليم بوجوده بدون برهنة، يقول كانط: " فعن الشرط الضروري لوجود الخير الأعلى ."فليس الهدف من الواجب، حسب كانط، أن نكون سعداء، بل أن نكون جديرين بالسعادة **لأنفسنا الخالدة** التي يضمنها **الله** في الحياة الأخرى. وبهذا نرى كانط أنّه انطلق من الأخلاق إلى الميتافيزيقا ليقيم ميتافيزيقا نقدية على أخلاق الواجب.

<u>الإرادة الخيرة</u>: المبدأ الأخلاقي يستند إلى مبدأ وحيد وهو الإرادة الطيبة، المستقلة عن أية غاية خارجة عنها. هذه الإرادة هي **الخير الأوحد.** يقول كانط: "..من بين الأمور التي يمكن تصورها في هذا العالم ، لا يوجد شيء يمكن عدّه خيرا على وجه الإطلاق، ودون قيد، اللهم إلا شيء واحد وهو: الإرادة الخيّرة". والفعل الأخلاقي هو أن نفعل الواجب دون أن يكون لذلك أي باعث سوى اعتبار الواجب" ومداره هو الإرادة الطيبة أو النية الطيبة.

وبهذا حاولنا أن نقدّم في هذه المحاضرة موجزاً لنظرية كانط في تأسيس الأخلاق على العقل من خلال فعل الواجب، وكذا الإرادة الخيّرة، وإن كان يعاب على نقديته في الأخلاق أنّ أخلاقه ازدرت الطبيعة البشرية واعتبرت الإنسان كائناً خارج الزمان والمكان، كما أنّ الإرادة الطيبة ليست كافية للسلوك الأخلاقي، فقد تكون النية طيبة والنتيجة غير ذلك..القيّم الأخلاقية الرّاقية هي التي تنظر إلى الإنسان ككائن عاقل، وككائن له عواطف سامية أيضاً. ويهدف إلى تحقيق منافع من سلوكه .

مراجع المحاضرة:

1. كانت، إمانويل، **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**، ت/ عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل،2014.
2. كانط، مقدمة لكال ميتافيزيقا مقبلة متبوع بأسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة، نازلي إسماعيل حسين و محمّد فتحي الشنيطي، موفم للنشر.
3. كانط عمانويل، **نقد العقل العملي**، ت/ أحمد شيباني، دار اليقظة العربية، 1966
4. كانط، عمانويل، **نقد العقل المحض**، ت/ موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، لبنان.